# إشكالية سوء الفهم بين البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة.

أ.دربالي وهيبة
جامعة المسيلة- الجزائر

تاريخ الإرسال:17-04-2018 تاريخ القبول:02-12-2018 تاريخ النشر:01-02-2019

**الملخص:**تعد ظاهرة الفهم الأدبي من القضايا النقدية الهامة في الدراسات النقدية الحديثة، لما ترتب عنها من نتائج أساسية في تأسيس النظريات النقدية والأدبية، ولاحظ النقاد تقاطعا بين البلاغة العربية والنظريات النقدية الغربية في تأويل سوء الفهم الأدبي، وهذا ما نتناوله في هذا المقال.

-**الكلمات المفتاحية:**الفهم، التأويل، سوء الفهم، نظريات نقدية، تأويل بلاغي عربي .

**Problems Misconstruction between Arabian Rhetoric and theories foreigners modernest.**

**Summary:**The phenomenon Verstehen took a great place within issues criticism in studires criticism modernest, also result in constructive theories literatures and criticism,for noticed a critics approach the old Arabian Rhetoric and theories criticism foreigners modernest in interpretation Misconstructionsliteratures , it this display article.

**Key word:**Verstehen,interpretation ,Misconstructions ,Theory Criticism,rhetoricalArabic.

**مقدّمة:** شهد البحث في ظاهرة الفهم انتشارًا في الدراسات النقدية الحديثة ودعت الحاجة لمعالجة تعدد الدلالات الأدبية نتيجة تعدد أفهام القراء وتنوع مناهجهم ما أدى لسوء فهمهم، واهتم علماء البلاغة العرب بالتنظير لحُسن الفهم الأدبي، وتوسع الجدل النقدي حولها في النظريات الغربية في ظل تعدد الأفهام ديني ولغوي..الخ، وهذا الحديث قادنا إلى طرح الإشكال التالي: ما هي أسباب سوء الفهم الأدبي؟ وفيما تمثلت مظاهر التقاطع بين البلاغة العربية والنظريات الغربية في تأويل سوء

الفهم الأدبي؟ سنطرح المفاهيم النقدية المتعلقة بقضية سوء الفهم، ونتعرف على طرق تناولها في تراثنا البلاغي العربي والنظريات الغربية الحديثة.

**أولاً- قضية سوء الفهم في البلاغة العربية:** رافقت ظاهرة سوء الفهم الأدبي تأويل النصوص الشعرية العربية وحاول علماء البلاغة وضع حلول لها خلال مسار تنظيرهم البلاغي.

1-**مفهوم الفهم:** نذكر مفهوم الفهم عند علماء اللغة ثم نتعرض لمفهومه البلاغي.

**أ-لغة:** نعرض المفهوم اللغوي للفهم عند ابن منظور في مادة:«فهم:فَهِمْتُ الشَيْءَ:عقلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ، وَفَهَّمَتُ فُلانًا، وأَفْهَمتُهُ وتَفَهَّمَ الكَلاَمَ:فهِمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شيءٍ، ورجُلٌ فَهِمٌ:سَرِيعُ الفَهم».[1]

إن فهم الشيء بمعنى معرفته بالعقل، ورجل سريع الفهم؛أي أنه فطِن، وجعل ابن منظور للفهم حالات هي:الفهم والتفهم والإفهام، فالفهم يكون من جهة المتلقي، والإفهام من جهة المرسل، ولم نجد تحديد مفهوم دقيق لمصطلح الفهم عند ابن منظور.

**ب-اصطلاحًا:** تطرق علماء البلاغة للفهم في معرض حديثهم عن بلاغة الكلام وصفات الأديب، ومنها«الفطنة هي الفهم والذكاء، وهي مهمة للأديب»[2].

تعد الفطنة من خصائص الفهم، وهي من صفات الأديب وتميز أسلوب هو ربط العلماء العرب بين الفهم والفطنة، فقالوا:«لحسن الكلام إذا فهمه ولحَنه وعنّي الكلام؛ أي فهمه وفطنه، وألحنه القول؛أي أفهمه إيّاه»[3].

ورد الفهم بمعنى الفطنة والذكاء واللحن، وهي شروط الفهم الجيد، ومنه فالشخص الفاهم هو الفطن الذكي وسريع البديهة، ونقيضه هو سيء الفهم.

نلاحظ توافق المفهوم البلاغي للفهم مع المفهوم اللغوي في أن الأديب البليغ هو الفاهم والفطن والذكي في اختياراته لمعاني الكلمات الأدبية.

2-**التأويل البلاغي لسوء الفهم الأدبي:** وضع علماء البلاغة قواعـد في تأويلهم لسوء الفهم الأدبي، وضبط ابن طباطبا معايير الشعر البليغ في قوله: «فإذا ورد عليك الشعرُ اللطيف المعنى الحلو اللفظ، التام البيان، المعتدلُ الوزن، مازج الروحَ، ولاءم الفهم»[4].

ربط ابن طباطبا حُسن الفهم ببلاغة الشعـر، فيتوجب على الشاعر اختيار الألفاظ الفصيحة والمعاني البليغة، وهي شروط جمعت بين جودة الصياغة الشكلية، وحسن اختيار الأغراض الأدبية لإفهام المتلقي، ومنه فالفهم هو حالة شعورية تتفاعل فيها روح المتلقي مع المعاني الأدبية.

وفي تأويل ظاهرة الفهم عند ابن سنان الخفاجي، نجده يرى بأن الأديب«يريد إفهام ذلك المعنى أولا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ هذا الغرض بإيضاح اللفظ والمعنى ما أمكنه، وإن كان لا يريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه».[5]

إن الفهم الأدبي عند ابن سنان الخفاجي يتحقق في حالتين: الأولى: حسن الفهم، فإذا أراد الأديب وضوح المعاني اختار الألفاظ السهلة للمعاني البسيطة، وعند ذلك يسهل فهمها على المتلقي، وأما إذا تعمد الأديب غموض المعاني، فإنه يستر معانيه وراء التصوير الاستعاري. ودعا ابن سنان لوضوح التعبير الأدبي ليفهمه المتلقي، وهنا اتفق ابن سنان مع ابن طباطبا في ربط حسن الفهم ببلاغة الكلام الأدبي .

ومن مظاهر سوء الفهم في التراث العربي الصراع الذي دار بين الشعراء والعلماء « وما روي من ضيق الشعراء بالنحو والنحاة والاستهزاء الحاصل من الشعراء،

فهو في نظرنا بمثابة إظهار الذكاء».[6] وفي سياق متصل رفض عبد القاهر الجرجاني «أن تمتهن تجارب الشعراء بما فيها من إبداع فني في مواجهة سوء الفهم أو ضيف الأفق»[7].

تفطن عبد القاهر الجرجاني لفكرة أن الفهم الخاطئ يسيء للتجربة الشعرية، وذلك لضيق رؤية بعض العلماء، وهنا ضرورة توسيع دائرة الفهم لتستوعب كل التجارب الشعرية بما فيها التي خرجت عن عمود الشعر.

وفي سياق متصل تعرض عبد القاهر الجرجاني لسوء فهم العلماء للمجاز القرآني في قوله: «إنما هو سوء نظر منهم ووضع الشيء فيغير موضعه وإخلال بالشريطة، وخروج عن القانون، ونوهم أن المعنى إذا دار في نفوسهم فقد فهم من لفظ المفسر، وحتى كان الألفاظ تنقلب عن سجيتها وتزول عن موضوعها، فتحمل ما ليس من شأنها أن تحتمله».[8] كما أشاد بخطورة سوء فهم المجاز القرآني، وتأويله وفق المذهب الفكري يؤدي لفهم المعاني القرآنية على نحو خاطئ. وتجدر الإشارة أنه وُضعت حلول لسوء فهم الشعر، ومنها الوساطة «وهي القيام بدور الوسيط بالمعنى المتداول بين فريقين في حالة نزاع»[9]

إن الهدف من التوسط بين الخصمين هو حل سوء التفاهم بينهما وفي تراثنا البلاغي اتبع عبد العزيز الجرجاني الوساطة في حله لسوء فهم شعر المتنبي« وتوسط بين خصوم المتنبي ومحبيه، وذكر أن قومًا مالوا إليه حتى فضلوه في الشعر على جميع أهل زمانه، وقومًا لم يعدُّوه من الشعراء. فتوسط بين الخصمين، وذكر الحق من القولين».[10]

نلاحظ أن حسن الفهم موافق للحق عند عبد العزيز الجرجاني وتوسط بين خصوم شعر المتنبي ومعجبيه، وأنصف الشاعر من خصومه.

خصص علماء البلاغة مباحث لمعالجة سوء الفهم، فجعلوا في مصنفاتهم«أبوابًا لما يسمونه خطأ في المعنى يعدون فيها مآخذهم على الشعراء، ومعظمها قابل للتأويل والتخريج بمراعاة طبيعة الأدبي».[11] كانت عناية العلماء بالتلقي الجيد، وتركيزهم على حسن فهم الخطاب الأدبي، ولذلك فهم يراجعون مفاهيمهم، وفي هذا السياق«أحس عبد القاهر الجرجاني أن كلام الجاحظ حول اللفظ والمعنى قد أسيء فهمه».[12]

انتبه عبد القاهر الجرجاني إلى سوء فهم مقولة الجاحظ (المعاني المطروحة) ونتج عن ذلك المبالغة في الاهتمام باللفظ وإغفال المعاني الأدبية، مما كان له تبعات سلبية في فهم الشعر العربي.

3- **معايير الفهم الجيد:**عالج علماء البلاغة قضية سوء الفهم بوضعهم لمعايير تضمنُ حسن الفهم والتبليغ الجيد، ومن هذه المعايير البلاغية نذكر:

أ- **التفاهم بين الأديب والمتلقي:** ورد في كتاب البيان والتبيين لفتات ذكية حول حسن الفهم، وفيها يقول الجاحظ :«إن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى[13]فذلك هو البيان في ذلك الموضع».

إن الفهم عند الجاحظ هو شراكة بين الأديب والمتلقي، فكل منهما يبذل جهده لفهم الآخر لحصول التبليغ،وحسن الفهم غاية يسعى لها الأديب والمتلقي معًا، وتعد مقولة "الفهم والإفهام" محور التنظير البلاغي فالفهم هو تفاعل القارئ مع الأدب، وأما الإفهام فهو مسؤولية الأديب.

**ب- مراعاة مقتضى حال المتلقي:** ذكر الجاحظ ما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر قوله: «فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك،

واقتدارك على نفسكَ، إلى تُفهم العامّة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة»[14].

نفهم من كلام بشر بن المعتمر أن بلاغة الشعر ضرورية لحسن فهمه، فيسعى الشاعر إلى اختيار الألفاظ المناسبة لموضوعه، وجعل من مراعاة مقتضى حال المتلقي أهم شرط لإفهام المتلقي، وفي سياق متصل يرى ابن طباطبا أن«لحسن الشعر، وقبول الفهم إياه علةٌ أخرى، وهي موافقتهُ للحال التي يعد معناه لها ؛ كالمدح في حال المفاخرة».[15]

اعتبر ابن طباطبا أن مناسبة موضوع الكلام لحال المتلقي شرط لفهمه له، كمناسبة المدح لمواضيع الافتخار، والهجاء لأغراض الشتم.وفي هذا الصدد نسوق نماذج سوء فهم بين الشعراء والخلفاء، ومنها رد فعل عبد الملك بن مروان من مدح الشاعر جريرله حيث قال:

«أتصْحُو أم فُؤادك غيرُ صاح**عشيةَ همَّ صَحبُك بالرَّوَاح

فقال عبد الملك:"بل فؤادك بابن الفاعلة!كأنه استثقل هذه المواجهة، ونظرًا لقابلية البيت للتأويل كان رد فعل المتلقي الموجه إليه»[16].

حصل سوء فهم الخليقة لمعنى البيت الشعري المصرح به، فغضب الخليقة من جرير، والشاعر لا يقصد التعريض به.

ومن مظاهر الصدام بين الشعراء والعلماء نذكر«اعترض أبي سعيد الضرير وأبي العميثل الأعرابي على أبي تمام عندما مدح عبد الله بن طاهر:أهن عوادي يوسف وصواحبه** فعزمًا فقُدمًا أدرك الثأر طالبه[17]

فقالا لأبي تمام:"لم لا تقول ما يفهم؟ فقال لهما:لم لا تفهمان ما يقال؟!». وقع سوء فهم بين أبي تمام و الضرير والأعرابي للمعاني الأدبية، وطلب الشاعر منهما أن يتزودا بالمعرفة لفهم شعره.

**ج-تأثير العقل في الفهم** : ربط الجاحظ بين الفهم والعقل في قوله:«أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: افهم عنِّي أو لست تفهمُ، أولَست تعقِل».[18]

أعطى الجاحظ أهمية للعقل في فهم الكلام، فالفهم ناتج عن العقل من خلال تفكير المتلقي في غموض المعاني الأدبية، وفي سياق متصل يرى ابن طباطبا «بأن نظم الشعر هو عمل عقلي قائم على مهارة في الصنعة وإحكام في بنيات القصيدة، فإن تأثيره هو عقليّ أيضًا».[19]

ربط ابن طباطبا تحقق الفهم بمعيار العقل، واعتبر بأن نظم الشعر هو عمل عقلي، وفهمه يكون وفق العقل كذلك، وهنا نعلم أن الشعر فن يستهوي العاطفة، فلا يكفي العقل لفهم الشعر، بل لابد من الإحساس به.

**د- تأثير البيئة في الفهم:** أشاد الجاحظ بصعوبة فهم العربي للكلام الأعجمي في قوله:« ولولا طول مخالفة السامع للعجم، وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه...فنحن[20] قد نفهم بحمحمة الفرس كثيرًا من حاجاته».

نتج عن مخالطة العرب لثقافة الفرس فهمهم لكلامهم، وقد ذكر الجاحظ شاعر تحدث عن جارية لكناء في قوله: «فزيادٌ قد فهم عن مولاه، والشاعر قد فهِم عن جاريته، ولكنهما لم يفهما عنهما من جهة إفهامهما لهما ولكنهما لما طال مُقامهما في الموضع الذي يكثُر فيه سماعهما». [21]

أشاد الجاحظ بأثر البيئة الثقافية في الفهم في أن معايشة المتلقي لأحوال الأديب جعلته يفهم خطابه، وفي سياق متصل ورد في كتاب الحيوان قول الجاحظ:«وليس

العربي أسوأ فهمًا لطمطمة الرومي من الرومي لبيان لسان العربي، فكلٌّ إنسان من هذا الوجه يقال له فصيح»[22].

تؤثر البيئة الثقافية في فهم الكلام، فلكل قوم لغتهم الخاصة يفهمون بعضهم بواسطتها،ويصعب فهم تلك اللغة على الدخيل عليهم، فمعرفة أصول اللغة شرط هام في فهم المتلقي لنصوص الأدبية .

**و- تأثير الطبع في الفهم:** ذكر الجاحظ أهمية أثر الطبع في فهم الكلام، وذلك أن«الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السُّوقي رطانة السوُّقي»[23].

ينبغي أن يكون الكلام وفق مستوى فهم المتلقي، فالكلام العادي لعامة الناس، وأما الغريب من الكلام يفهمه الخاصة من الأدباء والنقاد.

نجد أن الفهم يتأثر بطباع المتلقين، وجعل الجاحظ الطبع أحد عوامل الفهم، ويرى بأن المؤانسة والألفة بين المتلقي والأديب لها دور في الفهم.

**ه-تأثير الأسلوب الأدبي في الفهم:** جاء في رد ابن جني على من أنكر بلاغة أبيات ابن كثير المشهورة «قيل:"هذا الموضع قد سبق إلى التعلق به من لم يُنعِم النظر فيه، ولا أرى ما أراه القومُ منه، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر وخفاء غرض الناطق"».[24]

أُعجب ابن جني ببلاغة التصوير الشعري، ولا يتفق مع من قدم تأويلاً سطحيًا للشعر، وأكد على أن الأسلوب غير المباشر أدى لسوء الفهم.

تجدر الإشارة أن تراثنا البلاغي غني بحالات سوء الفهم، والتي عبرت عن حجم الصدام بين الشعراء والنقاد، ومن ذلك الجدل حول شعر المتنبي.

**ز-المعرفة شرط الفهم:** إن غاية التنظير البلاغي هي حسن الفهم، ولذلك عمد علماء البلاغة إلى وضع معايير«مشتركة بين فهم الخطاب المباشر وغير المباشر، ومنها:معرفة أصول اللغة بمستوياتها كافة، ودلالات هذه الأصول، وكيفية إنتاج الخطاب وفقاً لما تقتضيه، وهذه المعرفة هي جزء من مكونات الكفاءة التداولية في قولبها المتنوعة».[25]

جعل علماء البلاغة معرفة الاستخدامات اللغوية وسياقاتها الحضارية من شروط الفهم وحسن التبليغ، والتواصل الجيد بين المتلقين والأدباء.

**ثانيًا- التأويل البلاغي لسوء الفهم في ميزان النقد العربي الحديث:** تناول النقاد قضية الفهم من منظور المناهج الحديثة، ولاحظوا انتشار سوء الفهم في الأوساط الأدبية، وعالجوا ظواهر سوء الفهم الأدبي، ومنها:

**1- سوء فهم الاستعارة بين البلاغة العربية والنقد العربي الحديث:** وفي هذا الصدد تعرض مصطفى ناصف لفهم النقاد للصورة الشعرية في قوله:«هربنا أكثر من مرة من صعوبات المعنى إلى لفظ الصورة، لأضرب مثلًا آخر قول كثير:"وسالَتْ بأعناق المَطِيّ الأباطِحُ" تناول هذه الأبيات كثيرون ابن جني وعبد القاهر والعقاد، والغريب أن الموقف القديم هو الموقف الحديث كل الفرق في استعمال المصطلحات لقد أخذ عبد القاهر وابن جني يقولان أن هذا الشعر ينطوي على معنى يؤبه به، وأخذا يشرحان الدلالات الضمنية».[26]

نلاحظ تقارب تأويل الاستعارة بين علماء البلاغة والنقاد، وهو نموذج لحسن الفهم قلما يرد في نقدنا العربي، وفي المقابل لم يُعجب بها ابن قتيبة «وهنا يكمن خطأ ابن قتيبة الفاحش، لقد أسس حكمه على الأبيات الثلاثة على هذا المشهد قبل

تأليف أو نظم القصيدة، ومن ثم وجده سطحي المعنى تافه القيمة، لكن ليس هو تلك الصورة الشعرية الرائعة التي توقف عندها عبد القاهر الجرجاني».[27]

حصل سوء فهم بين ابن قتيبة وعبد القاهر، فأسس ابن قتيبة حكمه على نظرة مسبقة، واعتبر بأن الأبيات لا قيمة لها بسبب سطحية معانيها وعلى خلافه أُعجب عبد القاهر ببلاغتها، ومصدر الخلاف هو صعوبة فهم دلالة المعاني البعيدة، وإذا كان حصل سوء فهم بين ابن قتيبة وعبد القاهر، فإنه اتفق فهم العقاد مع عبد القاهر حول نفس الأبيات، ما يؤكد على أن الفهم ظاهرة لا تتعلق بالزمن؛ وإنما ترجع لمنهج المؤول وثقافته.

ومن أبرز القضايا البلاغية التي حصل فيها سوء فهم علماء البلاغة قضية اللفظ والمعنى، وسبب الخلاف حولها «إما سوء فهم أو سوء نية، ففكرة الألفاظ المتغايرة، والمعنى واحد تتبع مقولة "الترادف"»[28].

نجد من أهم أسباب سوء فهم قضية اللفظ والمعنى تعصب النقاد لأحد عناصر العمل الأدبي، واستمر سوء فهم قضية اللفظ والمعنى في النقد الحديث، فوجد النقاد أن المنفلوطي«لم يفهم قضية اللفظ والمعنى على حقيقتها، فلو كان المهم هو المعنى يؤدى بأي لفظ كان لراقه ذلك البيت المستغلق؛ لأن الاستغلاق جاءه من ناحية اللفظ لا من ناحية المعنى».[29]

أساء المنفلوطي فهم الأبيات المشهورة "للشاعر كثير"(ومطلعها" لما قضينا من منى كل حاجة") لظنه أن جودتها في معانيها، والحقيقة أن جماليتها في تصويرها الاستعاري، ما نتج عن ذلك الخطأ في الحكم عليها.

2-**علاقة الفهم بالذوق** :عالج النقاد العرب قضية الفهم الأدبي من منظور المناهج النقدية الغربية، فتعرض طه حسين لقضية الفهم فيقول:«وأنت تعلم أن الذوق

الأدبي في شيء إنما هو فهمه، وأن الحكم على شيء إنما هو الذوق...وإذًا فالحكم أثر من أثار الفهم، والنقد هو الفهم...وتستطيع أن تدور مع الأستاذ الرافعي حول الذوق الذي هو الفهم أو حول الذوق الذي ليس هو الفهم، والفهم الذي ليس هو الفهم».[30]

ربط طه حسين بين النقد والفهم، واعتبر الحكم ناتجا عن الفهم، ونعلم أن الذوق متغير، ولذلك تتغير الأفهام بتغير الأذواق، وذكر أنواع الفهم وفق تصور الرافعي، هي:فهم مع ذوق أو فهم بدون ذوق، أو اللافهم، فالنوع الأول جمع فيه المؤول بين الذوق والفهم، والثاني خاص بعامة الناس في تذوقهم للأعمال الأدبية دون تحليلها، وأما الثالث فهو استحالة الفهم .

**ثالثًا– قــضية سوء الفهم الأدبي في النظريات الغــربية الحديثة:**اهتمت النظريات الغربية بالفهم وسوء الفهم على حد سواء، وعالجت إشكالية سوء الفهم في مجالات معرفية عديدة، ومن أبرزها فنون الأدب.

1– **مفهوم مصطلح "الفهم"**: تعود إرهاصات الاهتمام بظاهرة الفهم إلى العصر اليوناني «فالهرميني الأرسطي هو فهم لمنطق العبارة».[31]

إن مدلول التأويل عند أرسطو هو فهم دلالة العبارة، وربط بين التأويل والفهم «وجرت العادة على تعريف الفهم باعتباره تأويلاً ذهنيًا لمعطيات مادية بناء على مماثلة مع اقتران حالاتنا الذهنية»[32]

يعد الفهم تأويلا ذهنيا للظواهر الأدبية، وأخذ التأويل دلالة الفهم في أن التأويل هو«فهم ما يقوله مؤلف، ونقل مقصده في صيغة تجعله مفهومًاInterprétation ينتمي إلى حضارة أخرى، ولا نستخدم هذا المصطلح بدلالته الفرنسية السلبية المحتملة بمعنى التحوير والتشويه، ونستخدم هذه الكلمة (التأويل) في معان تختلف

بحسب السياق، فنستعملها "بمعنى فهم"نص أو خطاب وبمعنى "ترجمة شفهية"و"ترجمة فورية"». [33]

وردت الترجمة بمعنى سوء الفهم:فالترجمة خيانة للمعنى الأصلي وسوء فهم له، ومنه حمل مصطلح الفهم دلالة سلبية في الثقافة الفرنسية وعلى خلاف ذلك في الثقافة الألمانية، فاكتسب دلالة ايجابية، والفهم عند غادامير«هو فهم النص عبر وانطلاقًا منه؛ لأن الفهم Verstehen معناه إبراز رأي الآخر وإدراكه في وجوده». [34]

يرى غادامير أن الفهم هو التفاهم والاتفاق، بمعنى تقبل آراء الآخرين رغم الاختلاف معهم، وأما سوء الفهم، فيقصد به«وضعية تبرز في آن واحد معنيين مختلفين يعطيه لها الممثلون، ومعنى يعطيه لهاالجمهور». [35]

من مظاهرسوء الفهم حيرة المؤول بين دلالتين للمعنى، أوغموض المعنى من جهة التشكيل اللفظي، ونلاحظ تعدد مصطلحات الفهم:

miscomprehension/Compendre /Verstehén/ Interprétation herméneutique.الخ..

وأما العربية:الفهم أو التأويل أو القراءة أو التلقي..

2-**تأويل سوء الفهم في النقد الغربي الحديث:** اهتمت النظريات النقدية الحديثة بالتنظير للمعالجة سوء الفهم الأدبي ومنها نعرض مايلي:

أ- **تأويل سوء الفهم في النظريات التأويلية الحديثة:** ركزت التأويلية الألمانية على دراسة حالات سوء الفهم الأدبي، وفي هذا الصدد يرى شلاير ماخر أن التأويلية هي «تجنب سوء الفهم...ومنذ شلاير ماخر لا يوجد مفهوم يعادل التأويل سوى مفهوم الفهم» [36].

إن هدف شلاير ماخر من التأويل هو تجنب سوء الفهم، ومنه فالفهم غاية المؤول في اشتغاله، وفي سياق متصل يقول دلتاي: «نسمي فهمًا العملية التي بواسطتها نحن نعرف شيئًا نفسيًا بالاستعانة بالعلامات المحسوسة..إن الفهم لا يعدو أن يكون ضربًا خاصًا من التأويل».[37]

إن الفهم عند دلتاي هو تأويل المضامين المتعلقة بتجربة المؤلف ويكون فهم المضامين النفسية عن طريق الدلالة المحسوسة، واتفق دلتاي مع شلاير ماخر في اعتبار التأويل هو الفهم .

تعددت مظاهر سوء الفهم في النقد الحديث«ويُفهم فيه سوء الفهم كقضية تأويل خاطئ يمكن أن تعود ببساطة إلى ازدواج معنى الأدلة»[38]. وشكل الترادف اللفظي أهم أسباب سوء الفهم بين القراء، نتيجة تعدد مرادفات الكلمات في النصوص الأدبية، ويرى هيدجر«أن الفهم يشاد دائمًا على خلفية من اللافهم...والهرمنيوطيقا لم تدَّع يومًا بأن كل شيء قابل للفهم والوصف معًا، بل إنها تعتقد بأننا في بحث دائم عن الفهم بما أننا في مواجهة دائمة مع اللافهم»[39].

إن العلاقة بين الفهم وسوء الفهم هي التكامل، ومن أجل الوصول إلى الفهم الصحيح لابد من البدء بسوء فهم النصوص الأدبية، وفي سياق متصل يقول بول ريكور«حاولت إحداث مطابقة، وتماه بين التأويل ومقولة "الفهم"، وعرَّفت الفهم بأنه التعرف على قصد الكاتب».[40]

جعل بول ريكور مطابقة بين التأويل والفهم، وعرَّف الفهم بأنه معرفة مقاصد الكاتب، وبول ريكور في رأيه هو على خلاف ما ذهب شلاير ماخر فهو «يقصي التأويل،ويضع الفهم في صلب الممارسة الهرمنيوطيقية؛ لأن التأويل في اعتقاده يبحث فقط عن المعنى الحرفي».[41]

اعتقد شلاير ماخر أن التأويل هو قراءة مباشرة لمعاني النص الأدبي وبينما يتجاوز الفهم بنية النص إلى البحث في شخصية الأديب.

تطور التنظير للفهم مع جهود غادامير، فسلك غادامير توجهًا «يختلف تمامًا عن تصور شلاير مـــاخر، الذي ركز على وضع القواعد والمعايير التي تعصمنا من سوء الفهم».[42]

بحث شلاير ماخر عن المعايير التي بواسطتها نتجنب سوء الفهم وأما غادامير فاتجه بالفهم نحو التطبيق، والملاحظ أن قضية الفهم اتخذت جانبا نظريا وآخر تطبيقيا، والتكامل بينهما ضروري، وفي سياق متصل يرى بول ريكور أنه «لا يكون بالمستطاع حل مشكلة الفهم الصحيح عن طريق عودة بسيطة إلى موقف المؤلف المزعوم، ولا مصدر آخر سوى هذا لمفهوم التخمين».[43]

اعتبر بول ريكور التخمين كحل لسوء الفهم، واستبعد موقف المؤلف وهنا نرى تأثره بالتأويلية الألمانية، واتفق مع رأي هيدغر في اعتباره في كتاب"الوجود والزمان" إن verstehen «مصيبًا في تحليل للفهم ما نفهمه أولًا في الخطاب ليس شخصًا آخر، بل مشروع؛أي معالم طريقة جديدة للوجود في العالم».[44]

دعا بول ريكور لفهم شامل من خلال التركيز على رؤية الكاتب للوجود، وفي هذا الصدد استبعد غادامير تدخل المعارف السابقة في فهم النص الأدبي في قوله:«مهمتنا في الحقيقة هي أن نستمد فهمنا للنص من الاستخدام اللغوي السائد في زمن النص، أو من اللغة التي يستخدمها المؤلف...فكما أننا لا يمكن أن نستمر في سوء فهم استخدام كلمة ما من دون أن يترك ذلك أثره على معنى الكلُّ، كذلك لا نستطيع أن نفهم نتشبث بشكل أعمى بمعناها المسبق حول شيء ما إذا ما أردنا أن نفهم معنى شيء آخر».[45]

دعا غادامير لعدم التسليم للمفاهيم المسبقة للكلمات الأدبية، بل على القارئ دومًا البحث عن المعاني الأدبية الجديدة من خلال تفعيل الدور السياقي للنصوص الأدبية، وأشاد غادامير إلى تأثير البيئة الثقافية في فهم الأدب، فنفهم النص الأدبي في سياقه الثقافي الذي كُتب فيه، ومنه نجد أن للسياقات الخارجية دورا في فهم النصوص الأدبية.

وقد عالج شلاير ماخر مسائل الفهم وسوء الفهم في نظريته التأويلية التي استند فيها على «مقولتين أساسيتين، أولا المقولة التقليدية: غنى أفهم كل شيء إلى أن أصطدم بتناقض أو بلغو، وثانيا:غـــني لا أفهم شيئا لا أدرك ضرورته...فالفهم تبعًا لهذه الحكمة هو مهمة لا متناهية».[46]

جمع شلاير ماخر في نظريته بين مقولتين أساسيتين:كلاسيكية تسلم بالفهم إلى أن يثبت العكس، ومقولة حديثة تبحث عن لانهائية الفهم، وفي إطار المقولة الأخيرة نصطدم بتعدد الأفهام «ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى تطوير فن للفهم يقوم على مجموعة من القواعد النحوية والنفسية التأويلية تُجنبنا سوء الفهم»[47].

درج القراء على البحث عن حسن فهم الأدب، والأمر مختلف عند شلاير ماخر، حيث ركز على حالات سوء الفهم، واستند على المعايير النحوية والنفسية، وأراد بناء مشروع أكاديمي للفهم، ووضع نظرية تأويلية سعى من خلالها لفهم الذات الإنسانية، وفهم التجربة الأدبية أصعب لتخفي مشاعر الأديب وراء معانيه، وفي هذا السياق سعى بول ريكور«لنقد النزعة السيكولوجية، التي يعتبر أن شلايرماخر ودلتاي قد سقطا فيها من خلال التمييز الواضح بين سيكولوجية الفهم ومنطق التأويل، معتبرًا أن الأولى ذات معرفية، بينما الثاني ذا طبيعة أنطولوجية، وقد يفشل الفهم في صورة المشاركة الوجدانية».[48]

انتقد بول ريكور الجانب النظري لتأويلية لشلايرماخر ودلتاي، ويرى أن فشل الطبيعة السيكولوجية للفهم عند أحدهما (شلايرماخر)؛ لاستحالة توافق الأفهام واختلاف التجارب، ومع ما قدماه شلاير ماخر" و"ديلتاي من جهود إلا أنهما لم يوفقا في التنظير للفهم العام «فمن الممكن أن نرجع العمل الأدبي إلى النية التي أنشأته وإلى أصله الأول».[49]

دعت الدراسات النقدية الحديثة لانتظام عملية الفهم ضمن إطار منهجي تسوده رؤية شاملة لعناصر النص الأدبي، ومن أهم مظاهر سوء الفهم نجد«الأمراض الفلسفية التي يعاني منها الفكر المعاصر نجد إهمال مستوى الفهم داخل التأويل والتفسير، فكثيرًا ما نتذرع بالقراءة لتجنب مؤونة التفكير، كما نلجأ إلى التفسير لتجنب أعباء الفهم».[50]

إن الفهم عملية صعبة في البحث عن المعاني الأصلية، وبناء خارطة جديدة لدلالات النصوص الأدبية، واستثمار الرصيد المعرفي، ولذلك قد يكون التفسير كتحليل سطحي للنص الأدبي أسهل من عملية فهمه.

يحدث سوء الفهم نتيجة تعدد التوجهات الفنية واختلاف غاياتها، وكما يقول هايدغر:«الفن الذي لا يحال بعد كلية النظام الوجودي يصبح موضوعًا مناقضًا للواقع، مناقضًا لتفاهة الحياة بوصفه القوة المفسرة للشعر، الذي لا يتم التصالح بين الفكرة والواقع إلا في ميدانه الجمالي».[51]

تتضح علاقة الفن بالواقع في أن الشعر لا يعبر حقيقة عما هو موجود في الواقع، وإنما غايته تصوير الجمال الفني من خلال التعبير عن الواقع. وفي هذا الصدد يرى النقاد بأنه يتوجب على المؤول التفاعل مع النصوص الأدبية «ومهمة التأويل تغدو وفق ذلك إعادة تجريب وعيش للمعنى الأصلي للنص بحيث يبني

المؤول الشرط الأول للتواصل النصي ليقترب من التأويل الصائب المتماشي مع مقاصد المؤلف».[52]

تتمثل مهام المؤول في التفاعل الجيد مع النصوص الأدبية، والبحث عن مقاصد الأدباء، ومن النادر حصول هذا الأمر؛لأن المؤول له ميولاته وأفكاره الإيديولوجية الخاصة في الفهم الأدبي من جهة، ومن جهة أخرى يكون المتلقي محكوم بتصوراته المسبقة، وفي سياق متصل أكد أمبرتو إيكو على أنه «من الصعب معرفة ما إذا كان تأويل ما تأويلًا صحيحًا وفي المقابل من السهل جدًا التعرف على التأويل الرديء».[53]

يرى أمبرتو إيكو أنه من السهل معرفة التأويل الرديء، بخلاف التأويل الصحيح لا يتسنى الاتفاق على طريقته أو شروطه، ولذلك نجد أن الفهم يتسع عند غادامير فيصبح «الفهم أكثر من كونه منهجًا يسمح باكتشاف المعنى، بالنسبة إلى سعة ظاهرة الفهم».[54]

جعل غادامير من الفهم فلسفة خاصة في فهم المعاني الأدبية وربطها بمجالات معرفية كثيرة ساعدت غادامير في بلورة نظرية شاملة للفهم، ويرى غادامير بأنه«لا تسعى هرمينوطيقا الفهم إلى تأسيس قاعدة شاملة وصالحة لكل مستويات الفهم، وإنما على تشكيل وعي نقدي».[55]

إن غاية التأويلية الحديثة ترقية الأفهام، ومن الصعب التقريب بين الأفهام المختلفة لتغير الأذواق، واعتبر غادامير بأن«الفهم هو توصل إلى تطبيق، واستعمال المعنى على وضعيتنا الراهنة، وإيجاد أجوبة لمسائلنا وحلول لمشكلاتنا:"يتخذ الفهم دومًا دلالة التطبيق"».[56] توجه غادامير بالفهم نحو التطبيق، وسعى إلى فحص المعاني الأدبية ورفع التعارض فيما بينها ومناقشتها.

**ب- سوء الفهم من منظور ريتشاردز:** بحث ريتشاردز عن علم يدرس حالات سوء الفهم الأدبي، فوجد ضالته في البلاغة «فسمى ميدانه بلاغة؛ أي دراسة سوء الفهم، وطرق علاجه أو كيف تؤدي الكلمات عملها».[57]

اعتبر ريتشاردز البلاغة أحسن علم لفهم النصوص الأدبية، واهتم بالجانب الوظيفي للكلمات في السياق الأدبي، وتتبع معانيها من خلال العلاقات فيما بينها، وطرح ريتشاردز سوء الفهم وفق رؤية جديدة يرى فيها«أن الحجر الأساس الذي يقوم عليه سوء الفهم هو ما يسميه بخرافة المعنى الخاص...لكن رد الفعل الأول ضد هذه النظرية كان عنيفًا».[58]

رفض ريتشاردز الفهم الأحادي للمعنى الأدبي، وهو يرى بتعدد دلالة معاني الكلمة في النص الأدبي، وموقــفه الثابت إزاء هذه القضية أدخله في جدل مع خصومه، وطرح سوء الفهم من منظور منطقي دحض فيه الفكرة السائدة، وهي ثبات معاني الكلمات، فلها دلالات ومعاني تُفهم في إطار السياق الأدبي، وتطرق لعلاقة اللغة بالفهم « وسوء التفاهم لا يتعلق بأي لُبس أو غموض في اللغة، ولا بأي لُغز يحتاج إلى تأويل».[59]

حصل سوء فهم نتيجة الغموض اللغوي، وهو حالة طبيعية فرضتها طبيعة التعبير في الخطاب الأدبي، وهنا دعا ريتشاردز إلى دراسة سوء الفهم الأدبي، وطرح« بلاغة جديدة أو دراسة الفهم اللفظي أو سوء الفهم وتعامل البلاغة القديمة الغموض على أنه عيب وقصور في اللغة».[60]

دحض ريتشاردز مقولات البلاغة القديمة في اعتبار غموض المعاني مؤدي لسوء الفهم، وأما البلاغة الجديدة فترى في غموض المعاني من جماليات الأدب، وفي سياق متصل ذكر النقاد أن سبب تأليف كتاب معنى المعنى لأوغدن ورتشاردز

هو تأويل سوء الفهم، وفيه يقول رتشاردز: «نذكر هذه التعقيدات هُنا، لنظهر كم هي غامضة مُعظم الألفاظ التي يشيعُ اعتقاد أنها مُرضية في هذا الموضوع، فكلمة"يفْهمُ"مثلًا ما لم تُعالج على نحو خاص هي على درجة عالية من الغُموض بحيث لا تفيدنا إلا مؤقتاً أو في مستويات من لخطاب يكون الفهم الحقيقي فيها للموضوع غير ممكن».[61]

نلاحظ أن المعاني الأدبية لاتفهم بمعزل عن سياقها، وأن السياق الداخلي له دور حسن فهم دلالة الكلمات وإزالة الغموض عنها، وفي سياق متصل أشار عبد العزيز حمودة«إلى أن موقف ريتشاردز القائم على التوافق وتقريب الاختلافات ورفضها ربما يكون العائق الأكبر، الذي منع ريتشاردز من لوصل إلى نهاية الشوط مع نظريات التلقي».[62]

أكد ريتشاردز على تعدد دلالة معاني الكلمات الأدبية، وتعلقها مع بعضها في السياق الأدبي، وحول مشروعه البلاغي يرى عبد العزيز حمودة أن محاولات التوفيق بين الاختلافات عند ريتشاردز منعته من تقدم مشروعه نحو فهم عام للأعمال الأدبية، ونرى بأنَّه على الرغم مع الانتقادات التي وُجهت له؛ إلا أنه استطاع تحرير الأفهام من الجمود.

تجدر الإشارة أن هناك بعض الاستعمالات اللغوية تؤدي لسوء الفهم، وحسب ما يرى أمبرتو إيكو أن« كثيرًا ما يفلح بعضهم في الفهم عن بعض على الرغم من وُجود الكلمات غير الدقيقة، والمحذوفات وإساءات الفهم وما من معالجة لغوية يُمكنها أن تمحو هذه العيوب».[63]

تحدث أمبرتو إيكوعن صعوبة فهم بعض التعابير اللغوية الغامضة وهنا تتدخل عوامل أخرى في الفهم، كالتعود على تعبير ما دون غيره.

**ج- قضية سوء الفهم عند التفكيكيين:** حظيت قضية سوء الفهم في النظرية التفكيكية باهتمام كبير، وفي هذا الصدد اعتقد جاك ديريدا في تأويله لنصوص الأدبية «بلانهائية الدلالة وكل قراءة للنص الأدبي إساءة قراءة ».[64]

اعتبر ديريدا بأن القراءة الأدبية هي إساءة قراءة، وكل فهم هو إساءة للفهم مثلما قال شلرماخر سابقًا، ويرى جاك ديريد أنه «ما يمكن أن نفهم من نص لا يفهم هو نفسه؟ إن على القارئ أن يتقدم في فعل القراءة دون أن يستثقل الرجوع إلى الوراء بعض الأحيان».[65]

شكك جاك ديريدا في كل فهم؛ أي أنهيشك في ما يعرضه النص الأدبي من مفاهيم حتى يصل إلى المعاني الأصلية، ويرى بأنه على كل قارئ تمثل "سوء الفهم" في كل عملية تأويلية، وتجنب المعارف السابقة.

نلاحظ أن الفكر التفكيكي أعطى لمقولة "سوء الفهم" بُعدًا آخر فوسع من البحث فيها، وأصبحت منهجًا أساسيًا في القراءة الأدبية الواعية من أجل الوصول إلى حسن الفهم الأدبي .

**رابعًا-التقاطع بين البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة:**

نضع قضية سوء الفهم في ميزان المقارنة بين البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة، وسنركـــز على التقاطعات فيما بينهما في تأويل سوء الفهم، ومنها نأتي على ذكر مايلي :

1- **مقتضى الحال:** أكدت الدراسات النقدية الحديثة على وجود تقارب بين الفكرين البلاغي العربي والغربي في صياغة مفهوم مقتضى الحال«فيلزم ابن قتيبة الكاتب أن يجعل ألفاظه على قدر الكاتب والمكتوب إليه...ويقترب ما قال به الجاحظ في

ضرورة مناسبة اللغة للمقام، الذي تجري فيه العملية مما قال به برونسنلاف مالينوفسكي فيما أسماه بسياق الموقف».[66]

سبق علماء البلاغة نقاد الغرب في طرح مفهوم المقام، فأشاد الجاحظ بمناسبة دلالة الكلام لموضوع الحديث، وهو ماعُرِف بسياق الموقف عند مالينوفسكي، واشترط ابن قتيبة من المؤلف جعل ألفاظه مناسبة للمتلقي.

2- **مستويات الفهم:** ميَّز عبد القاهر الجرجاني بين مستويات المعاني « فيعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة و"معنى المعنى" أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر».[67]

يرى عبد القاهر الجرجاني بأن المعنى هو المفهوم السطحي الحرفي في النص الأدبي، وأما مصطلح "معنى المعنى"فهو المعاني الثانية الإضافية المتولدة من المعنى الحرفي، وبحث عبد القاهر في تفاوت بناء المعنى«فالمعنى التأويلي متعدد ومتشعب ومعنى المعنى عند عبد القاهر مجاله النص الشعري، فهو المعاني المتعددة لا المعنى الثاني؛ لأننا لو قصرنا معنى المعنى على دلالة واحدة، لكنا قد نقصنا نظرية المجاز».[68]

يقع سوء الفهم في المستوى الثاني من التعبير الأدبي، وحسب ما يرى عبد القاهر الجرجاني أن في هذا المستوى تتعدد الأفهام، وفيها نلاحظ سعة التفكير والاختلاف بين القراء، وخطاب الشعر يفرض على الشاعر اعتماد التخييل لتعمية نصه، ويصعب على المتلقي فهم هذا النص الشعري بوعـــيه الخاص بل يستعمل أدوات فهم عديدة ؛لأن الشاعر أغلق عالمه الخاص بشفرات رمزية يسعى المتلقي لفك سرها، ويرى عبد القاهر الجرجاني«أن هناك بعض النصوص التي تعرض معناها بوضوح حتى أن تأويلها هو إعادة لكتابتها وعرضها بصيغة جديدة، وهو

في نظر الجرجاني لايرتبط بالتأويل إلا بمستوى ضعيف جدًا، وأما النوع الثاني من النصوص يحتاج إلى نوع من التأمل؛ لأن معانيها دقيقة».[69]

يرى عبد القاهر الجرجاني أن التأويل هو فهم المعاني المجازية وفق تصور المؤول، وتتفاوت مستويات الفهم حسب طبيعة نظم النصوص الأدبية، وتشابه عبد القاهر مع ريتشاردز«الذي رفض وجود معنى وحيد وخاص لكل كلمة مستقلة عن سياقها، وقد أطلق على هذا المعنى عبارة "خرافة المعنى الخاص"وعدُو السبب الرئيس في حصول سوء الفهم».[70]

توافق رأي ريتشاردز مع عبد القاهر الجرجاني حول تعدد الأفهام في مستوى"معنى المعنى" لتعدد الدلالات حول المعاني الإضافية أو العاطفية «وإذا كانت المعاني الأولى كما يسمّيها حازم أو المعنى عند الجرجاني يمثل البعد التصريحي، والذي لا يحتاج في إدراكه إلى طلب واجتهاد، فإن المعاني الثواني أو معنى المعنى يمثل البعد التلميحي لما يتضمنه من مجاز، وقد نجد ما يقارب ما سماه ميشال أوتن هذين المفهومين بمواضع الشك ومواضع اليقين».[71]

تقارب ميشال أوتن مع عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني في تقسيم المعاني الأدبية إلى مستويين، وهما: الأول: المعاني التقريرية أو بتعبير ميشال أوتن مواضع اليقين الموافقة للواقع، وأما المستوى الثاني فهو معنى المعنى بتعبير عبد القاهر أو مواضع الشك عند ميشال أوتن.

وفي هذا المستوى الأخير يقع سوء الفهم «ففي المستويين الثاني والثالث يقع الخلاف بين العلماء في التأويل، وذلك بحسب مرتبة كل واحد معرفة البرهان، أو بسبب غموض الموضوع ».[72]

نجد أن المستوى الأول يترجم المعاني الحرفية، ولا يقع فيه خلاف في الفهم، وبينما تتعدد الأفهام في المستوى الثاني أو الثالث من الخطاب الأدبي، وفي تحليل بول ريكور لمستويات الفهم يرى بأنه«لا يقوم هذا المستوى الأول من الفهم المتبادل من دون شيء من سوء الفهم، فكثير من كلماتنا متعددة المعاني، فيها أكثر من معنى واحد، غير أن الوظيفة السياقية للخطاب تتمثل في حجب تعدد المعاني في الكلمات».[73]

إن فهم النصوص الأدبية في سياقاتها الداخلية هو حد لتعدد معانيها الأدبية، وتقليص الاختلاف حول مضامينها.

3-**فهم التجربة الشعرية:** سادت في الدراسات النقدية الحديثة الفكرة القائلة بأننا نفهم أنفسنا بأنفسنا، وفي سياق متصل يقول غادامير«علينا أن نتعلم فهم أنفسنا فهمًا أفضل، وندرك في كل فهم، سواء أأدركنا ذلك أم لا».[74]

نجد المؤول في أغلب الحالات يفهم الكاتب أكثر مما يفهم نفسه، ونرى بأن الكثير من الكتاب يعجزون عن فهم ما كتبوا في نصوصهم الأدبية وفي سياق متصل ذهب بول ريكور إلى تحليل مقولة الفهم، فـيرى أن«فهم مؤلف ما بأفضل مما فهم نفسه؛يعني بسط قوة الانكشاف، الذي ينطوي عليه خطابه إلى ماوراء الأفق المحدود لسياقه الوجودي».[75]

نتفق مع بول ريكور في أن المؤول يفهم معاني الكاتب أكثر من فهم نفسه، ونجد تأكيد هذا المعنى في «الإعجاب بالكلمة الساحرة التي قالها أبو طيب المتنبي"ابن جني أعلم بشعري مني! »[76].

لا يستطيع الشاعر فهم مشاعره في بعض الأحيان، وأكد المتنبي على أن ابن جني أفهم بشعره منه، وفي سياق متصل نجد توافقا بين عبد القاهر الجرجاني

وانجاردين في الفهم «فعملية التلقي أو استقبال النص بهذا الشكل تحقق ذاتية المتلقي والقارئ..ويلتقي انجاردين مع عبد القاهر في أن الوصول إلى هذا المستوى قد لا يتهيأ لكل متلق أو قارئ ما لم يكن من أهل المعرفة».[77]

توافق رأي عبد القاهر الجرجاني مع انجاردين في أن الفهم عملية ذاتية تتطلب معرفة وخبرة المؤول؛ لأن المتلقي يسقط معارف أثناء فهمه للنص، وهنا تكمن صعوبة الجمع بين مقاصد المؤلف وتصورات المتلقي. ويرى الناقد الألماني مارتن هايدغر«بأن أعلى مستويات الفهم في المعنى اليوناني هي قوة الانعكاس، وهذا يعني هنا:إنها القدرة على عكس كلِّ ما يتوهج في ذاته».[78]

إن هدف الأدب هو التعبير عن كل مشاعر الذات الإنسانية، ويحاول الوصول إلى أعلى مستويات الفهم، وارتبط سوء الفهم بفنون الأدب أكثر من غيره لتعدد مجالاته، واختلاف مذاهب تأويله «وما سوء التفاهم الذي يغذيه الأدب إلّا الثمن الذي علينا دفعه لشفائنا من حالات سوء تفاهم أخرى، قُصارى القول إن الأدب يعلمنا أن نفعل ما هو محظور على صانع المعاجم؛ أي حُسن اختيارِ سوءِ تفاهمنا».[79]

ونؤكد هنا على حقيقة على أننا لا نستطيع اختيار سوء فهمنا؛لأننا لسنا أحرارا في عملية الفهم، فثقافة الأديب مختلفة عن ثقافة المتلقي، ومن هنا يحصل سوء التفاهم بينهما، ونؤكد على أنه«لم يعد الأمر يتعلق هنا بسوء تفاهم يتم التذرع به لحفظ روح النخبة من خطر فهم العامة لها، فالكلام وعدم الفهم هما بين كتاب من أعداء العامة كما يدور الحديث، وتحت غطاء سوء التفاهم».[80]

من مظاهر سوء الفهم اختلاف مقاصد الأدباء عن غايات المتلقين فالأديب يستعمل التخييل لغموض معانيه، وأما المتلقي فينفي هذا الغموض، ويكون سوء الفهم ناتجا

لسوء التبليغ، ومن هنا فالفهم مسؤولية مشتركة بين الأديب والمتلقي«فالأديب ينبغي أن يكون حريصًا على إبراز معالم فنية وتلك خصوصية، والمتلقي أو المستقبل ينبغي أن يكون على حظ من الثقافة الأدبية».[81]

نلاحظ أن حصول عملية الفهم هو ناتج عن الشراكة المفيدة بين المؤلف والمتلقي، فيحاول المتلقي الارتقاء لمستوى ثقافة الأديب، وفي المقابل يجعل الأديب معانيه مناسبة للمتلقين.

4-**البلاغة علم للفهم:** إن القاسم المشترك بين الفكريين العربي والغربي هو اعتبار البلاغة كمنهج لتأويل سوء الفهم، وهو رأي ريتشاردز في قوله :«فالبلاغة كما سأبين يجب أن تكون دراسة لحالات سوء الفهم، وطرق معالجتها».[82]

نتفق مع ريتشاردز في كون البلاغة أحسن منهج لعلاج سوء فهم المعاني الأدبية؛ فالتنظير البلاغي غايته حسن الفهم، والتواصل الجيد بين القراء والأدباء، ومنه لاحظنا أن الفكر الغربي طرح قضية سوء الفهم في أُطُر منهجية دقيقة، على خلاف ما وجدناه في الدرس البلاغي العربي.

**خلاصة المقال:** وصفوة القول نؤكد على وجود وعي كبير عند علماء البلاغة العرب من خلال وضعهم للمعايير البلاغية، والتي جنبتنا سوء فهم الخطابات الأدبية، وبينما اهتم علماء البلاغة بحسن الفهم، ركزت النظريات الغربية على سوء الفهم، وانفردت بطرح مفهوم تحرير الأفهام.

ولاحظ النقاد أن أهم مظهر للتقاطع بين البلاغة العربية والنقد الغربي الحديث هو اعتبار البلاغة مدخلاً أساسيًا لعلاج سوء الفهم الأدبي.

ومما تقدم توصلنا إلى معرفة أهم الأسباب المؤدية لسوء الفهم الأدبي، ومنها نذكر:

أ-إن اختلاف المذاهب الأدبية والنقدية والثقافات الإنسانية هو السبب المباشر في حصول صراع فكري أدى لسوء التفاهم .

ب-عدم التوافق بين المؤلف والمتلقي في الأهداف والغايات الجمالية أدى لسوء التفاهم الأدبي بينهما.

ج- بناء فكرة خاطئة عن الأديب من خلال مذهبه، وتجاهل جماليات خطابه الأدبي، والتحامل عليه في بعض الأحيان.

ومن الحلول المقدمة لهذه القضية نقترح الاتفاق بين النقاد حول معايير الكتابة الأدبية، وضرورة مسايرتها لتطور الآداب العالمية، وتعلقها بالقضايا الإنسانية، ووجب عزل المؤول لشخصية المؤلف أثناء فهمه لنصه الأدبي، وأيضًا يتوجب على المتلقي ترقية مستواه المعرفي وامتلاك أدوات قرائية فعالة في فهم الأعمال الأدبية.

وقد وُفقت النظريات الغربية فيوضع معايير للفهم الأدبي، وتطورت إلى أن أصبحت قضية نقدية مع ريتشاردز وشلايرماخر، ونضجت في فكر جاك ديردا، ومنه ارتبطت قضية سوء الفهم بفلسفات نقدية خاصة اهتمت بالتنظير لحالات سوء الفهم أكثر من مواضع الفهم الصحيح للأدب، وحاول بعض النقاد وضع نظرية للفهم تسمح باختلاف الأفهام.

وفي الأخير نقول بأن سوء الفهم ظاهرة صحية من أجل تطور المعارف الأدبية والنقدية على أسس صحيحة، وحسن الفهم يؤدي لبناء الذات الإنسانية الواعية، والتأسيس لحضارة إنسانية راقية، وتقبل الاختلاف مع أفكار الآخرين ومعتقداتهم.

**الهوامش:**

1-ابن منظور:لسان العرب، تحقيق:أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياءالتراث العربي، بيروت -لبنان، 1419ه /1999م، ص 343.

2 -وحيد كبابة:معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ط1، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، 2012 ، ص 432.

3-خالد هدنة:المعجم العربي في ضوء النقد اللغوي، ط1، رؤية، القاهرة-مصر، 2015م، ص252.

4-ابن طباطبا:عيار الشعر، تحقيق:عباس عبد الساتر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1426هـ/ 2005م، ص22.

5-ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1402ه/1982م، ص 221.

6- خالد هدنة:المعجم العربي في ضوء النقد اللغوي، ص138.

7- محمود عباس عبد الواحد:قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثةوتراثنا "دراسة مقارنة"، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1417هـ /1996م، ص107

8-عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ص 34.

9- بول آرون وآخرون:معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة:محمد حمود، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر"مجد"، بيروت- لبنان، 1433هـ /2012م، ص 1270.

10-عبد العزيز الجرجاني:الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، 1467هـ/2006، ص6.

11-صلاح فضل:بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992م، ص108

12-وليد قصّاب:التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الثقافة، الدوحة- قطر، 1405ه/1985م، ص381 .

[13]-الجاحظ :البيان والتبيين، تحقيق:عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1418هـ،1998م، 76.

14-المصدر نفسه، ص 136.

15-المصدر نفسه، ص 22.

16- محمد بازي: العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، 1433هـ/2012م، ص49-50.

17-بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، دار المريخ، الرياض- السعودية، 1984م، ص139

18-الجاحظ :البيان والتبيين، تحقيق:عبد السلام هارون، ص113.

19- قصي الحسين :النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، 2003م، ص 391.

20-الجاحظ :البيان والتبيين، تحقيق:عبد السلام هارون، ص 162.

21-المصدر نفسه، ص165.

22-الجاحظ:الحيوان، تحقيق:عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 1384هـ، 1965م، ص32

23-الجاحظ:البيان والتبيين، تحقيق:عبد السلام هارون، ص 144.

24-أبو الفتح عثمان بن جني:الخصائص، تحقيق:محمد علي النجار، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1371هـ،1952م، ص218.

25 -عبد الهادي بن ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية، ج2، ط2، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015م، 1436هـ، ص144.

26 -مصطفى ناصف:النقد العربي نحو نظرية ثانية، عالم المعرفة، مجلس الثقافة والفنون والآداب الكويت، 2000م، ص 95.

27-عبد العزيز حمودة:المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص356.

28- رجاء عيد:فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، د.ت، ص60.

29-عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2007، ص225

30- طه حسين:حديث الأربعاء، ط12، دار المعارف، القاهرة -مصر، ج3، ص 26-27.

31-عمارة ناصر:اللغة والتأويل مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان، 1429هـ/2008م ص67.

32-عز العرب الحكيم بناني: الفهم والتأويل والحجاج من كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2 ، دار الروافد الثقافية، بيروت-لبنان، 2013م، ص 265.

33-ماريان لودورير ودانيكا سيليسكوفيتش:التأويل سبيلًا إلى الترجمة، ترجمة: فايزة القاسم، مراجعة:حسن حمزة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، 2009، ص 255.

34-عبد العزيز بوالشعير:غادامير من فهم الوجود إلى فهم الفهم، دار الأمان، ط1، الرباط المغرب، 1432ه/2011م، ص127.

35-جورج مونان:معجم اللسانيات، ترجمة:جمال الحضري، ط1، مجد المؤسسة الجامعية، بيروت- لبنان، 1433هـ/2012م، ج1، ص252.

.36 -بومدين بوزيد :الفهم والنص دراسة في المنهج التأويلي عند شليرماخر ودلتاي، ص 93

37- فتحي المسكيني: الهرمنيوطيقا كيف صارت التأويلية فلسفة؟ من كتاب فلسفة التأويل المخاض والتأسيس والتحولات، إشراف:على عبود المحمداوي، ط1، دار رافد الثقافية، بيروت – لبنان، 2013م، ص30- 31.

38- جاك رانسيير:سياسة الأدب، ترجمة:رضوان ظاظا، ط1، المنظمة العربية للترجمة بيروت-لبنان، 2010م، ص55.

39-جان غراندان: المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا: ترجمة:عمر مهيبل، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة-الجزائر، 1428هـ،2007م، ص178-179.

40-بول ريكور: نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ترجمة: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2006م ص53

41-عبد العزيز بوالشعير:غادامير من فهم الوجود إلى فهم الفهم، ص19

42-المرجع نفسه، ص25

43-بول ريكور: نظرية التأويل"الخطاب وفائض المعنى"، ص 123

44-المصدر نفسه، ص 72.

45-هانز جورج غادامير:الحقيقة والمنهج، ص371-372.

46-اليامين بن تومي: دينامية الفهم والتأويل قراءة في تاريخية المفهوم، كتاب "فلسفة التأويل إشراف:علي عبود المحمداوي، ط1، دار الروافد الثقافية، بيروت- لبنان، 2013، ص 66-67.

47- هشام معافة: التأويلية والفن عند هانس جورج غادامير، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر، الجزائر العاصمة – الجزائر، 2010، ص 43

48-عز العرب الحكيم بناني:الفهم والتأويل والحجاج "الحجاج، ص264.

49-حسن مصطفى سحلول: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياه، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 2001م، ص87.

50- عز العرب الحكيم بناني:الفهم والتأويل والحجاج، ص255.

51-مارتن هايدغر: أصول العمل الفني، منشورات الجمل، ترجمة:أبو العيد دود، كولونيا-ألمانيا، 2003م، ص40.

52-فريد الزاهي:النص والجسد والتأويل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2003، ص87.

53-أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، ، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2004م، ص137

54- هانس جيورغ غادامير:فلسفة التأويل، ص169.

55- المصدر نفسه، ص12 .

56-المصدر نفسه، ص 19.

57 - ستانلي هايمن: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة:إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1960م، ص120.

58- آيفور أرمسترونغ ريتشاردز:فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، بيروت- لبنان، 2002م، ص 5-6.

59- جاك رانسيير : سياسة الأدب، ترجمة: رضوان ظاظا، ص 61.

60- آيفور أرمسترونغ ريتشاردز:فلسفة البلاغة، ترجمة:سعيد الغانمي، ص 32-47.

61- أوغدن ورتشاردز: معنى المعنى "دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، ترجمة:كيان أحمد حازم يحي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2015، ص306.

62- سعاد أنقار:البلاغة والاستعارة، الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، الجزء الأول، ط1، ابن النديم، وهران-الجزائر، 2013م، ص796-797.

63-أوغدن ورتشاردز:معنى المعنى "دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، ص 22-23.

64-عبد العزيز حمودة:المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، 199م، ص 335.

65-جاك ديردا: الكتابة والاختلاف، ترجمة:كاظم جهاد، تقديم:محمد علال، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء-المغرب، 2000، ص 41.

66-هادي نهر:علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، تقديم:علي الحمد، ط1، دار الأمل للنشر، عمان- الأردن، 2007/1427م، ص 278

67- عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 2004، ص 293.

68- محمد المبارك:استقبال النص عند العرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 1999، ص231 .

69-حسين خمري:نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص 332

70-محمد محمود البخيتاوي:مناهج البحث البلاغي عند العرب، "دراسة في الأسس المعرفية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، 2013م، ص278- 281.

71- تسعديت فوراري: المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، اتحاد الكتاب، دمشق-سوريا 2008م، ص104- 105.

72-نصر حامد أبو زيد:الخطاب والتأويل سلطة السياسة وسلطة النص، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء-المغرب، 2008م، ص62

73-بول ريكور: نظرية التأويل"الخطاب وفائض المعنى"، ص45

74-هانز جورج غادامير: الحقيقة والمنهج" الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية "، ترجمة:حسن ناظم وعلى حاكم صالح، ط1، دار أويّا للطباعة، طرابلس-ليبيا، 2007، ص 411.

75-بول ريكور: نظرية التأويل "الخطاب، ص146 .

76- بدوي طبانة :قضايا النقد الأدبي، ص 128.

77-محمود عباس: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا، ص 41.

78-مارتن هايدغر: إنشاد المنادى قراءة في شعر هولدرين وتواكل، ترجمة:بسام حجار، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 1994م، ص89.

79- جاك رانسيير :سياسة الأدب، ترجمة: رضوان ظاظا، ص74.

80- المرجع نفسه، ص 60.

81- بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، ص 139.

82- آيفور أرمسترونغ ريتشاردز: فلسفة البلاغة، ترجمة:سعيد الغانمي، ص 13.